Journal of Al-Ma'rifa for Humanities
Journal homepage: http://jamh.uomosul.edu.iq
ISSN: (3006-8614) | E-ISSN: (3006-8622)

# Presence and Absence in the Poetry of Ibn Abd Rabbuh al-Andalusi (226-328 A.H.)

**Assistant Professor Muntaha Musharraf Aliwi** [1*]

[1] **Tikrit University, College of Arts**

**Received** : 29 / 07 / 2025
**Revised** : 20 / 01 / 2026
**Accepted** : 01 / 02 / 2026
**Available** : 03 / 06 / 2026

**Keywords:**
Self,
other,
old age,
youth, death,
life.

***Corresponding Author Email:**
muntaha.oleiwi122@tu.edu.iq

**ABSTRACT**

Ibn Abd Rabbuh al-Andalusi (D. 328 A.H.) is considered one of the most prominent poets of Andalusia in the fourth century AH. The duality of presence and absence is evident in his poetry in various forms: the presence of the poetic self, the absence of the beloved, longing for place and time, and longing for the homeland. This research examines the manifestations of the concepts of presence and absence in his poetry and analyzes their aesthetic and semantic dimensions. It is a distinct phenomenon whose motives vary according to its use in his poetry. The research consists of an introduction that defines the concepts of presence and absence linguistically and technically, followed by an introduction to the poet. It then includes three chapters: the first: the presence of the poet's self and the absence of the other; the second: the absence of the homeland and the presence of memory; and the third: the space of presence and absence. Finally, it concludes with the research findings. Keywords: The presence of the poet's self and the absence of the other, the absence of the homeland and the presence of memory, the space of presence and absence.

# الحضور والغياب في شعر ابن عبد ربه الأندلسي (226-328)

**م.د. منتهى مشرف عليوي** [1]

**[1] جامعة تكريت / كلية الآداب**

**الملخص**

شكل الحضور والغياب ظاهرة مهمة في الشعر الأندلسي، وكان للعامل السياسي الأثر الأكبر في تميز هذه الظاهرة في ذلك العصر ،لاسيما في سنوات الغربة والانتقال والحنين الى تلك الى الوطن، فقد تأثر الشعراء الأندلسيين بالحياة السياسية والاجتماعية، والشاعر الاندلسي كان في حالة ترحال دائم، يبوح فيه ألمه وفقده وفراقه للديار والحبيبة لتحضر عده أو تغيب في ذاكرته، ليجسد الشاعر في محطات حياته ما يمر به من أحداث، ومثل شعر ابن عبد ربه الأندلسي ظاهرة فريدة في الأدب الأندلسي، فهو ليس فقط شاعرًا بل أديباً، ويُعد أحد أبرز شعراء الأندلس في القرن الثالث والرابع الهجري، تتجلى في شعره ثنائية الحضور والغياب بصور متعددة، فتأتي في حضور الذات الشاعرة، وفي غياب المحبوبة، وفي الحنين إلى المكان والزمان وفي الحنين الى الوطن ،يتناول هذا البحث تجليات مفهومي الحضور والغياب في شعره وتحليل أبعادهما الجمالية والدلالية، فيعد ظاهرة مميزة تعددت دوافعه على حسب توظيفه في شعره وقام البحث على مقدمة يحدد فيه مفهوم الحضور والغياب لغة واصطلاحاً، ومن ثم التعريف بالشاعر، وثلاثة مطالب تمثل الأول: حضور ذات الشاعر وغياب الاخر، والثاني: حضور الشيب وغياب الشباب :والثالث: حضور الموت وغياب الحياة، ثم الخاتمة وما توصل إليه البحث من نتائج.

**الكلمات المفتاحية: الذات، الآخر، الشيب، الشباب، الموت، الحياة.**

## المقدمة

### أولاً : مفهوم الحضور والغياب

الحضور ،نقيض المغيب والغيبة، حضر يحضر حضورا وحضارة ويعدى فيقال: حضره وحضره يحضره، وهو شاذ، والمصدر كالمصدر، وأحضر الشيء وأحضره إياه، وكان ذلك بحضرة فلان وبحضرته وحضرته وحضره ومحضره ،وكلمته بحضرة فلان وبمحضر منه أي بمشهد منه، وكلمته أيضا بحضر فلان، بالتحريك وكلهم يقول: بحضر فلان ،بالتحريك (ابن منظور،2007م: مج2/ج4: 149)، ويعرفهما الرازي في كتابه مختار الصحاح بأن الحضور ضد الغيبة (ينظر:60)، وعرفه محي الدين العربي بقوله "الحضور حضور القلب بالحق، عند غيبة عن الخلق،...والغيبة غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق، لشغل الحس بما ورد عليه" (خمري، 2001م:15)اذن الحضور يناقض الغياب ووجود أحدهما مقترن بغياب الآخر، وتوضيفهما في الشعر يضيف للشعر جمالية ورونقاً وبهاء وذلك باتساع مخيلة الشاعر فيه ،فالشاعر يكتب فيما يحضره من أثر الغياب، وفي ذلك يقول تدوروف" هناك عناصر غائبة من النص ،لكنها الى حد كبير حاضرة في الذاكرة الجماعية لقرّاء فترة معينة، وهذا ما يمثل بطبيعة الحال علاقات الحضور وفي مقابل ذلك نجد بعض المقاطع من كتاب-بما فيه الكفاية من الطول-تكون على مسافة معتبرة من البعد عن بعضها البعض وتكون علاقتها غير مخالفة لعلاقة الغياب" (نقلاً عن : خمري ،2001م:16)، ويشير صلاح فضل الى ان علاقات الحضور والغياب تختلف في طبيعتها ووظيفتها الشعرية باختلاف ذاكرة القراء، فهناك عناصر غائبة في النص لكن يمكن اعتبارها حاضرة عند المتلقي (ينظر: فضل، 1998م:24)، فالغياب يكون بالجسد والحضور يكون معنوي ليداوي مرارة الغياب ،فهي تجربة حياتية يخوضها الشاعر بنفسه في وسط معتركات الحياة.

### ثانياً : التعريف بالشاعر

ابن عبد ربه العلامة الأديب صاحب كتاب "العقد الفريد" أبو عمر أحمد بن محمد بن عبدربه بن حبيب بن حدير المرواني مولى أمير الأندلس هشام بن الداخل الأندلسي القرطبي، ولد في قرطبة ولد في قرطبة في 10رمضان 246هـ،جده سالم كان مولى للأمير هشام الرضا (ينظر: الذهبي، د.ت : ج284/15) نشأ ابن عبد ربه في قرطبة، وامتاز بسعة الاطلاع في العلم والرواية والشعر، كتب الشعر في غرض الغزل، وقد ظهرت ثقافته الواسعة في مصنفه(العقد) كما طهرت في ثنايا شعره(المتبقي)، فهو شاعر مثقف مطلع على الكثير من العلوم الاسلامية والعربية، وكتب اشعارا في الزهد والموعظة وسماها

"الممحصات" وكان يتكسب من الشعر بمدحة للأمراء والوزراء والقواد والفقهاء من رجال الدولة المروانية، فقد أدرك من أمراء بني أميه الأمير محمد والأمير منذر والأمير عبدالله وأدرك شطراً من عهد عبد الرحمن الناصر، وكانت صلة بالدولة المروانية صلة وثيقة،ونجد في شعره(المديح ،والغزل، والعتاب، والإخوانيات، والرثاء، والزهد، ووصف المعارك ووصف الطبيعة)عُد من ابرز الرواد في نشر فن الموشحات إلا أن أعظم أعماله هو كتابه "العقد الفريد" الذي كان بمثابة موسوعة ثقافية للحضارة الإسلامية، فقد تناقلته الاجيال وهو مطبوع طبعات كثيرة، ويعد من كتب الثقافة العربية العامة، توفي ابن عبد ربه في 18جمادي الأول328هـ، ودُفن في قرطبة، وقد أصيب بالفالج قبل وفاته بأعوام (ينظر: ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:5-9).

**المطلب الأول : حضور ذات الشاعر وغياب الآخر**

حضور ذات الشاعر كان بارزاً في العصر الاندلسي، إذ ظهرت النزعة الذاتية في الشعر بشكل واضح، معبراً عن مشاعر الحزن، والأمل، والقلق، والخوف من المجهول، وقد تأثر الشاعر الأندلسي بالظروف السياسية والاجتماعية الصعبة، فاستخدم شعره للتعبير عن هذه المشاعر.

يُثير الحضور والغياب في نفس الشاعر فتكون ذاته في حالة حضور دائم في أغلب أشعاره، فيلجأ إلى ضمير المتكلم وأداة النداء بشكل متكرر، لكي يعزز حضور الذات في القصيدة، ليعكس بذلك حالته التي يمر بها، فنجده يقول في معنى فساد الإخوان:(ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:15) :

**أَبَا صَالحٍ أَيْنَ الكِرَامُ بأَسْـــرِهِمْ ... أَفِدْنِي كَريماً فَالكَريـــمُ رِضَـاءُ**
**أَحَقّاً يَقولُ النَّاسُ في جُودِ حَاتمٍ ... وَابْنُ سِنَانٍ كانَ فِيـــهِ سَخَـاءُ**
**عَذيريَ مِنْ خَلْفٍ تَخَلَّفَ مِنْهُـــمُ ... غَبَاءٌ وَلُـؤمٌ فَاضِـــحٌ وَجَفَـاءُ**
**حِجارةِ بخلٍ مـــا تجـود وربَّمـا ... تفجَّر من صمّ الحجـــارةِ مـــاءُ**
**وَلو أَنَّ مُوسى جَاءَ يَضْربُ بِالعَصَا ... لمَا انْبجَسَتْ مِنْ ضَرْبِهِ البُخَلاءُ**
**بَقَاءُ لِئَامِ النَّاسِ مَوْتٌ عَلَيْهِمُ ... كما أَنَّ مَوْتَ الأكرَمِيـــنَ بَقَـــاءُ**
**عَزيزٌ عَلَيْهِمْ أَنْ تَجُودَ أَكُفُّهُمْ ... عَلَيْهِمْ مِنَ اللهِ العَزيـــزِ عَفَـاءُ**

يستهل الشاعر قصيدته بالنداء(أبا صالح) وبالاستفهام(أين)لاستحضار الغائبين عنه الذين كانوا يمثلون الكرم عندهُ، فيستدعي شخصيات معروفة بالكرم وهي الغائبة بأجسادها والحاضرة بأذهان الجميع فيبين انهم قد غابوا ورحلوا وحضر مكانهم فاسدين وصفهم بالغباء واللؤم، بل حجارة من البخل لا يجود

منها شيء، فبعض الحجار يتفجر منها الماء، ثم يذكر الشاعر ان نبي الله موسى(عليه السلام)لو حضر وضرب بالعصا البخلاء لما ظهر منهم شيء غير البخل، ليبين لنا ان الحاضرين هم لئام الناس والغائبين هم الأكرمين منهم. وقال في غياب الحبيبة(ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:17):

**مَا أَقْرَبَ اليَأسَ مِنْ رَجائي وَأبعدَ الصَّبرَ مِنْ بُكائـي**

**يَا مُذْكِيَ النَّارِ فـي فُؤادي أَنْتَ دَوائي وأَنْتَ دَائـي**

**مِنْ لي بِمُخْلِفَةٍ في وَعدِهَا تَخْلِطُ لِي اليَأْسَ بِالرَّجاءِ**

**سألتها حَاجَةً فَلَـمْ تَفُـهْ فيهـا بِنَعْـمٍ ولا بِـلاءِ**

تحضر ذات الشاعر العاشقة في هذه الابيات مقابل غياب الحبيبة، وتتجلى ذات الشاعر بقوة، فهي (تتكلم، تتوسل، تبكي، تناجي)هذا الحضور المكثف للذات يقابله غياب الأخر وهي المحبوبة، وهو غياب قاسي يعكس صمتها وتجاهلها له، فالشاعر يخاطبها (يا مذكي النار) كأنها حاضرة في جسدها غائبة في تصرفاتها وأفعالها، فهي لا تتكلم، لا تجيب ،لا تشارك معاناة الشاعر، فحضورها حضور ألم وتوجع ناتج عن الغياب العاطفي، الا ان الشاعر يكرر حضورها بقوله (انت دائي وانت دوائي)فهي حاضرة في وعيه غائبة في جسده، وهو يمثل حضورها الرمزي الذي يتغذى على الذاكرة والتأمل والمعاناة، فهو صراع داخلي بين حضور الأمل وغياب ما ينتج عنه وهو(اليأس) والغائب البعيد عنه هو الصبر وهو تعبير مجازي يعبر عن بعد الحبيبة وفراقها لهُ، ويؤكد ذلك في مواضع اخر(ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:18) :

**أَنْتِ دَائي وَفي يَـدَيْكِ دَوَائي يَا شِفائي مِنَ الجَوى وَبَلائي**

**إِنَّ قلبي يُحِبُّ مِـنْ لا أُسَمِّي في عَنَاءٍ أَعْظِمْ بِهِ مِنْ عَناءِ**

**كيْفَ لا كيْفَ أَنْ أَلـذَّ بِعَيْـشٍ مَاتَ صبري بهِ ومَاتَ عَزَائي**

**أَيُّها اللّائِمونَ مـاذا عَلَيْكـم أَنْ تَعيشُوا وأَنْ أَمُوتَ بِدائي**

**ولَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتراحَ بِمَيْتٍ إنما الميْتُ مَيِّـتُ الأَحْيَـاءِ**

يطيل التوتر في نفس الشاعر بين حضور الحبيبة وغيابها وبين التعلق والانكسار الذي بداخل الشاعر، ليكون حضور الحبيبة هو حضور مركب فهو سبب في الداء وفي الوقت نفسه يكون الدواء والعلاج له بقوله(انت دائي وفي يديك دوائي) ليعكس لنا ثنائية الحضور المؤلم، فالحبيبة حاضرة في مخيلة الشاعر الا أن حضورها لا يخفف الألم بل يزيد معاناة الشاعر، فهو لا يسمي غائبه من شدة وعظمة عنائه(في عناء أعظم به من عناء)ومع هذا الغياب المؤلم، يوجد حضور محب في القلب(ان قلبي

يحب من لا أسـمي) فالشـاعر يعيش حضـوره بعذاب داخلي يموت فيه الصـبر والعزاء(مات صـبري به ومات عزائي)ثم يشـــير الى غياب التعاطف الاجتماعي من حوله بمخاطبة اللائمون (أيها اللائمون ماذا عليكم) ليحضـر من يلومه ويطلب منهم ان يعيشـوا ويموت هو بدائه وألمه،فالموت حاضـر وهو حضـور مريح، فالحياة عنده بدون محبوب بدون معنى، والغياب غياب الروح فهناك حضور جسدي وغياب روحي للشاعر وهو الموت الحقيقي عنده.ويقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:52):

**الجسمُ في بَلَدٍ وَالرُّوحُ في بَلَـــــدِ يَا وحشَةَ الرُّوحِ بَلْ يَا غُربَةَ الجَسَدِ**

**إِنْ تَبْكِ عَيْنَاكَ لي يَا مَنْ كلِفْتُ بِهِ مِنْ رَحمَةٍ فَهُما سَهْمانِ في كَبِدي**

تحضـر ذات الشـاعر هنا لتعبر عن الانقسـام الداخلي الذي يعيشـه الشـاعر فالجسـد في مكان والروح في مكان آخر،وتحضـــر الذات المتألمة، الواعية بالتمزق والضـــياع،والآخر غائب تماماً(ياوحشـــة الروح –ياغربة الجسـد)،وهو سـبب مايعيشـه الشـاعر من بُعد عاطفي، فلو كان الآخر(الحبيب) حاضـراً، لماحصـل هذا الاغتراب الروحي والجسـدي، وتحضـر ذات الشـاعر في البيت الثاني وهي واعية بألمها، وتعيش حالة حوار داخلي فيه رجاء وأمل بأن الآخر قد يشـعر بها ولو بالبكاء، فيتمنى الشـاعر أن يبكي عليه والدموع التي يتمناها الشاعر من الآخر تصبح سهاماً جديدة في كبده، فهو إما ان يكون غائباً فعلياً، أو أنه لا يبالي فيكون غائباً وجدانياً وان حضـر،فالشـاعر في هذا البيت يريد من المحبوبة ان تشـفق عليه من الوجع الذي يعيشـه وإن بكاء هذه المحبوبة على الرغم من الرحمة الا انه لايريد ان يراها مكسـورة لأن هذا يُعد انكساراً له وليس لها.

**المطلب الثاني: حضور الشيب وغياب الشباب**

يعبر الشـــيب والشـــباب عن جوانب مختلفة من الحياة، فيمثل الشـــباب بداية الحياة وانطلاقاتها والأحلام والأهداف، بينما يمثل الشـيب حكمة الحياة والوقار، ونهاية مطاف الحياة التي تحمل معها أحياناً القلق والتفكير والهموم، فمرحلة الشـــباب تعتبر من أجمل مراحل الإنســـان، ففيها يكون متميز بالحيوية والنشـــاط والرســـم لتحقيق الأهداف ثم ما يلبث أن تنتهي تلك المرحلة، محملة بنتائج مرحلة العمر، ليبدأ الشـاعر رحلة بتدوين وكتابة ما مر به من رحلة العمر هذه، لينسـجها على شـكل أبيات شـعريه جميلة، فينسج لنا ابن عبد ربه أجمل الأبيات التي بحضور الشيب وغياب الشباب وايام الصبا فيقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:112) :

**كنْتُ أَلفَ الصِّبا فَوَدَّعَني وَداعَ مَنْ بانَ غيْرَ مُنْصَرفِ**

**أيّامَ لَهْوي كَظِلِّ إِسْحِلَــةٍ وإِذْ شَبابــي كَروضَــةٍ أُنُــفِ**

يحضر الشاعر في ذاكرته الماضي وشبابه بتعبير يحمل الحنين والمواساة "كنت ألف الصبا" اي كنت أعتاد الصبا وأحبه، ويغيب الحاضر وشيبه الذي أصبح خالياً من هذه اللذائذ، ويؤكد ذلك الغياب ب(وداع غير منصرف) تأكيد على فقدان الصبا، الذي رحل ولن يعود، ليتجلى الغياب بأبسط معانيه، بغياب الزمن الجميل ورحيله بلا رجعه، وهو وداع يحمل حسرة الشاعر لعجزه عن استعادة الماضي، فيستحضر شبابه بتشبيهها بالظل العابر وهو كظل السحابة الذي يمر سريعاً ثم ما يلبث ان يزول فهي(أيام هوى كظل لسحابة) بل ان أيام الصبا والشباب كانت لدى الشاعر حديقة جميلة مليئة بالحياة والحيوية،ثم غابت وحضر الشيب محلها،فالماضي كان حاضر في ذاكرة الشاعر، بينما الحاضر يغيب عنه معنى الفرح والهوى ،وبهذا يكون الحضور في هذه الابيات حضور وجداني للماضي ،بينما الغياب يكون غياب الفتوة والشباب الذي لا رجعة فيه ليضفي الشاعر للنص مسحة حزن وتأمل في فناء الزمن الراحل ،ثم يقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:140) :

**حالَ الزَّمــانُ فَبَــدلَ الآمــالا وكسا المشيبُ مَفارِقــاً وقَــذالا**

**غَنِيتْ غَواني الحيّ عنكَ ورُبَّما طَلعتْ عَليْك أَكِلَّــــةً وحِجــالا**

**أَضْحَى عليكَ حَلالُهُنَّ مُحَرَّمــاً ولقد يكــونُ حَرامُهُــنَّ حَــلالا**

**إنَّ الكواعِبَ إنْ رأَيْنكَ طاوِيــاً وصْلَ الشبابِ طَوَيْنَ عنكَ وِصالا**

يحضر الزمان المتغير لدى الشاعر ليغيب الشباب عنه، فيغيب الزمان ويبدل الآمال التي كانت لديه في الشباب، ليحضر مكانها الشيب والكبر والشيخوخة، فيستحضر مجالس الشباب والغواني والطرب التي كانت تحيط به في تلك المرحلة الجميلة، اما الان في مرحلة الشيب، فقد أصبحت محرمة عليه، وهنا يغيب الحضور العاطفي والجسدي لدى الشاعر،الذي كان جزءا من حياته في أيام الشباب، فالنساء اللواتي كنّ يقبلن عليه،الآن ابتعدن عنه حين طوى الشباب وصله بهن، فحضور النساء في حياة الشاعر كان مشروطاً بحضور الشباب، فلما غاب الشباب غابت النساء،فيعيش الشاعر هنا أثر الغياب وقهر التحول المؤلم من حالة الى حالة أخرى ليتحول الزمن من الشباب الى الشيخوخة، ومن الحضور العاطفي والاجتماعي الى العزلة والوحدة، فيمثل الشاعر ذلك بأسى عميق، فالماضي حاضر في الذاكرى والحنين، بينما الحاضر يغلب عليه الغياب والخذلان والألم، فيكمل الشاعر ألمه وتحسره على تلك الأيام بقوله (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:140) :

**يا طالباً في الهوى ما لا يُنال وسائلاً لم يُعْفَ ذُلَّ السُّؤالْ**
**ولَّتْ ليالي الصِّبا مَحمـــودةً لو أَنَّها رجعتْ تلكَ اللَّيـــــالْ**
**وأعقَبَتْهـا التـــي واصلْتُهـــا بالهجرِ لمَّا رأتْ شَيْبَ القَذال**
**لا تَلتَمِسْ وُصلَةً مِنْ مُخْلـفٍ ولا تكُنْ طالباً مـــا لا يُنـــالْ**
**يا صاحِ قد أَخلَفتْ أسماءُ ما كانتْ تُمنّيكَ مِن حُسنِ الوصالْ**

فجر حضور الشيب لدى الشاعر جميع الألم والقهر، فيؤكد الشاعر في أبياته على ضياع مرحلة الصبا، وهو تصريح مباشر بغياب الشيب والزمن الجميل وحضور الشيب والهجر وهي الشيخوخة بما تحمله من انكسارات نفسية واجتماعية، فيخاطب الشاعر من يطلب الهوى منه بأن هذا الوصل قد اصبح غائباً مستحيلاً لا يمكن تحقيقه في واقع الحال، ثم يحضر الشاعر أسماء(وهي رمز المحبوبة)ويشير الى انها قد اخلفت الوعد، وأصبحت غائبه لاوجود لها، وهنا تحضر صورة الماضي الجميل من خلال الحنين، بينما يغيب ذلك الجمال عن واقعه الراهن، فهو في مرحلة النصح والإرشاد جاء نتيجة لحضور تجربة ومعاناة، وغياب الوصل عنه، فهو في حالة حسرة وقهر ناتجة عن غياب أيام الصبا والهوى، وحضور مؤلم للشيخوخة والهجر والبعد، ثم يجعل الشاعر من الحنين خطاباً تحذيرياً لمن لايزال يتطلع الى ما هو مستحيل في هذا الزمن، وتستمر معاناة الشاعر مع هبوب رياح الصبا فيقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:165) :

**فكيفَ ولي قلبٌ إذا هبَّتِ الصَّبا أهابَ بشوقٍ في الفؤادِ كمينِ**
**ويهتاجُ منه كُلُّ ما كانَ ساكناً دعاءُ حمامٍ لم يبِـــتْ بوُكونِ**

فالحضور هنا هو نسيم الصبا الذي يرمز غالباً الى الذكرى والحنين، وهو العنصر الحاضر بقوة في الصورة الشعرية، فهو يوقظ المشاعر الكامنة ويثير ماسكن في القلب، والغائب هو المحبوب او الماضي او المكان الذي لم يعد حاضراً، فهذا الغائب لهُ أثر قوي في نفس الشاعر أدى الى هيجان قوي مضطرب حرك بقلبه كل ساكن من مشاعر الحنين والشوق، فهو فاقد للسكينة وراحة البال فهو كالحمام الهائج الذي ليس لديه مستقر وثبات من شدة ألمه ونوحه على فراق أحبته، ثم ينتقل لوضع تلك الأيام موضع الرهان فيقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:165):

**ولو شئت راهنت الصبابة والهوى وأجريت في اللذات من مئتين**
**وأسبلت من ثوب الشباب وللصبا علـيّ رداءٌ مُعلـــم الطرفين**

يستخدم الشاعر الحرف (لو) وهو من أدوات الشرط التي تدل على عدم تحقق الفعل، مما يدل الى ان ما يصفه لم يقع فعلياً، بل هو تصور استرجاعي لما كان يمكن أن يكون، فرهان الصبا ومجارية الهوى كلها صور تحضر في الخيال لكنها في الواقع غائبة ،فالشاعر يستحضر ماضٍ لم يتحقق، ويشير الشاعر الى جمال ايام الشباب فيستحضر تلك الأيام ليجعل منها رداءً كاملاً ذو أطراف متكاملة، فالشاعر يعيش توتر واضح بين الحاضر الخالي من اللذات والشباب والماضي والخيال الذي يفيض بهما، فالحاضر يغيب فيه الشباب والهوى واللذة، والماضي يحضر بوصفه زمناً غنياً، لكنه في الحقيقة غائب لا يمكن استعادته إلا بالحنين والشعر وذلك بقوله(راهن، أجريت، أسبلت، رداء، معلم) ليخلق حضور لغوي لما هو غائب زمنياً.

ويقول في موضع أخر (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:170) :

**ولَّى الشَّبابُ وكنتَ تَسكنُ ظِلَّــهُ فانظُرْ لنفسِكَ أيَّ ظِلٍّ تسكُنُ**

**ونَهَى المَشيبُ عن الصِّبا لو أنَّهُ يُدْلي بحُجَّتهِ إلى مَـن يَلْقَـنُ**

يبدأ الشاعر أبياته بكلمة (ولى) وهي تحمل نبرة حسرة وفقد عظيم، فهي كلمة توحي بالرحيل النهائي، وإشارة الى غياب مرحلة زمنية كانت عامرة بالحيوية والجمال لتحضر الذكرى مقابل غياب الواقع الحقيقي، فهو كان يسكن بظله وينعم بحمايته ونعيمه، لكن الأن لم يعد هناك هذا الظل، فيتساءل بحسرة ومرارة ويقول(فانظر لنفسك أي ظل تسكن)وهنا يتجلى الغياب كواقع مؤلم، في حين يحضر الشباب فقط في الذاكرة الحزينة، ثم ما يلبث أن يبرز حضور المشيب بوصفه شيخاً حكيماً واعظاً رمزياً يمنع ويأمر وينهي ولكن لا أحد يتعظ، فالأبيات تعبر عن انفصال بين الذات والزمن فالشاعر يحضر جسده في زمن المشيب، لكن وعيه لايزال مشدوداً الى زمن الشباب الغائب وهذا الانقسام يخلق ألفاً داخلياً عميقاً يعالجه الشاعر بالشعر والحكمة، ليكون ملاذ نفسي للشاعر، لكنه لا يغني عن الواقع .

**المطلب الثالث: حضور الموت وغياب الحياة**

يُعد الموت واحد من أبرز ثيمات الشعر العربي، فهو يُمثل في خلفية العمل الإبداعي ويكمن في خلفية الحدث الشعري (ينظر: عبد السلام، 2017م:7) وقد تناوله الشعراء الأندلسيين بطابع مختلف، فكان الاندلسي اكثر شغفاً بالحياة بسبب انتشار وسائل المتعة ومجالس الطرب والأدب، ولكن هذه الحياة مهددة بشبح الموت، ممادفع الشعراء الى التفكير في ذلك (العاني: مج234/1) وقد برز لنا ابن عبد ربه بوصفه شاعراً مثقفاً عبر عن همومه، وكان للموت حضوراً كثيفاً في شعره، يقابله غياب لروح الحياة أو

انطفاؤها، بما يعكس رؤية جميلة في أشعاره، لتكشف لنا قصائده معبرة عن رؤية شعرية وفكرية عميقة لمفهوم الموت، تتجلى فيها حتمية الفناء أمام تراجع عداد الحياة، ليتحول حضور الموت الى رمز يختصر هشاشة الحياة، فيما يصبح غياب الحياة انعكاسا للقلق الحضاري والوجودي الذي ميز شعر الأندلسيين في مراحل الانحدار السياسي، "وكان ابن عبد ربه يفكر التأمل في الحياة ويطيل النظر في مشكلة زوال العمر، فهو يرى الحياة مزارع ، وما يزرعه يحصده، وعلى الانسان ان يحسن الانتفاع من الحياة بصالح الاعمال" (العاني: مج234/1).

وشكل حضور الموت وغياب الحياة أبعاداً فنية وجمالية في قصائد الشاعر ابن عبد ربه، فيقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:146) :

**للهِ دَرُّ البَينِ مـــا يَفعـلُ يَقتلُ مَن يشاءُ ولا يُقتلُ**

**بانُوا بمن أهواهُ في ليلـــةٍ ردَّ على آخـــرها الأَوَّلُ**

**يا طُولَ ليلِ المُبتلى بالهَوى وصُبحُهُ من ليلهِ أطْولُ**

يحضر الشاعر الموت على أنه شخص قاتل، يملك سلطة قتل الارواح العاشقة دون أن يمس هو بسوء، فالفراق له قوة فوق قوة البشر، تفعل في المحب ما لا يفعله الموت الحقيقي، فالموت هنا موت معنوي ونفسي، فالشاعر لا يتحدث عن انقطاع النفس ،بل عن فناء الحب والروح بانفصال الحبيب، وكأن الزمن لدى الشاعر هو زمن دائري لامعنى له، حيث يُستعاد أول الليل في أخره، وهو اشارة الى توقف الحياة الزمنية لدى الشاعر، فلا جديد سوى الألم وكأن لحظة الوداع جمدت وأوقفت كل شيء، ثم يأتي الليل الطويل حاملاً المعاناة والوحشة الممتدة التي لا تنتهي بقدوم الصباح بل يكون ذلك الصباح امتدادا للظلمة ذاتها ،فهو تعبير عن الفراغ الذي يعيشه الشاعر، فالموت هنا حاضراً ولكن ليس موت جسد بل موت الروح والحب والأمل، والحياة تغيب مع غياب الحبيب، ويقول في موضع اخر (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:152):

**ألا إنَّما الدنيـا كأحـــلامِ نائـــمِ وما خيرُ عيشٍ لا يكون بدائمِ**

**تأمَّلْ إذا ما نلتَ بالأمسِ لـــذَّةً فأَفْنَيتَها هل أنـــتَ إلا كحالـــمِ**

**وما الموتُ إلا شاهدٌ مثل غائبٍ وما الناسُ إلا جاهلٌ مثلُ عالمِ**

تحمل الابيات الزهد والتأمل في شعر ابن عبد ربه، ويحضر الموت حضور مكثف بوصفه وعياً دائماً بالفناء، يقابله غياب تام للحياة بوصفها متعة مستقرة أو معنى ثابت، فيتحدث الشاعر عن الموت كحقيقة لا تفارق الانسان فالعيش عنده لا خير فيه لأنه غير دائم، مما يجعل قيمة الحياة معدومة من

حيث جوهرها ،فيختزل الوجود الانساني كله في صورة وهم أو وضع غير حقيقي، ثم يغيب الحياة ويطلب منا ان نتأمل اللذة التي نلناها في الأمس، فهي بعد ان نعيشها تذهب وتتلاشى كما يتلاشى الحلم، فالموت عنده (شاهدٌ)حاضر لكنه لا يُرى(غائب) فهو حاضر يسكن تفاصيل الحياة وان لم يظهر لنا، وهذا النوع من الحضور الصامت للموت يولد قلقاً وجودياً يجعل كل الحياة مؤقتة وهشة لا قيمة لها، ولا فرق فيها بين جاهل وعالم ،فالحياة لا تفرق بين من يدري ولا يدري، فالجميع الى مصـــير واحد وبالتالي لا جدوى من الســـعي أو الإدراك، فتتحول الحياة عند الشـــاعر الى وهم عابر ليغدوا الموت فيها هو الوعي الأعمق والأصدق بالوجود.

ويقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:52) :

**مَنْ لي إذا جُدْتُ بَينَ الأَهْلِ والوَلَدِ وَكانَ مِنّي نَحْوَ الموْتِ قيـــد يَـــدِ**

**وَالدَّمْعُ يَهْمُلُ وَالأَنْفاسُ صَاعِـــدَةٌ فَالدَّمْعُ في صَبَبٍ والنَّفْسُ في صُعُدِ**

**ذَاكَ الْقَضَاءُ الذي لا شَيءَ يَصْرِفُهُ حَتَّى يُفَرّقَ بينَ الـــرُّوحِ وَالجَسَـــدِ**

يظهر الموت هنا في أقرب صورة وأشدها حضوراً(قيد يد) وهي تعبير عن حالة الاستسلام التام، فالموت ليس مجرد احتمال، بل هو قيد يقيد الجسد ويسيطر عليه ليقربه من النهاية ،فالموت ليس غائباً، بل هو حاضر كقوة قاهرة تسحب الشاعر من بين من يحبهم، أما الحياة فهي غائبة وتتلاشى بصمت، حتى الأهل والولد، وهم رموز الحياة والدفء والاستمرار، يصبحون عاجزين عن مد الحياة إليه، في ظل حضور الموت الطاغي على كل شيء، ثم ينتقل الشاعر الى وصف دقيق للحظة الاحتضار ،(والدمع يهمل) وهي حالة تصيب الانسان في الاحتضار ،وهي دلالة على الحزن، والأنفاس الصاعدة تعني اخر ما تبقى من الحياة قبل الانفصـــال النهائي فهي إشـــارة الى الصـــعود الروحي قبل الموت، فلا توجد أي مقاومة للحياة ،فالنفس يتصـــاعد والدمع ينحدر، فالحضـــور كامل للموت مع غياب الحياة التدريجي دون رجعة، فهو قضاء لا يُرد ولا يمكن دفعه، فهي صورة جسدت لنا نهاية الحضور الإنساني وبداية الغياب الكامل، وفي هذه الأبيات يعمل الحضـور(الموت) والغياب(الحياة) على تعميق الرؤية الفلسـفية للشـاعر تجاه الفناء، مع حضور العجز الإنساني التام أمام القضاء الإلهي، فالشاعر لا يجسد الموت كعدوا، بل كقدر لا مفر منه ومعه تغيب كل أسباب الحياة، ويقول (ابن عبدربه، تحقيق: الداية، 1979م:60) :

**قَلْبٌ بِلَوْعـــاتِ الهـــوَى مَعْمُـودُ حَيٌّ كَمَيْتٍ حاضِرٌ مَفْقُودٌ**

**مَا ذُقْتُ طَعْمَ المَوْتِ في كَأسِ الأسَى حَتَّى سَقَتنِيْهِ الظِّباءُ الغِيدُ**

تجسد الأبيات مشهد من الموت العاطفي بفعل الحب ،إذ يتقاطع فيه الالم مع الحياة، والحب مع الموت، فالشاعر في حالة موت عاطفي فهو(حي كميت) فالحياة عنده قائمة ظاهرياً، لكنها منعدمة داخلياً، فهو(حاضرٌ مفقود) فهو موجود لكنه غائب عن نفسه وعن الحياة، وكأنه ميت حي، فالحياة عنده غائبة منفية ليست حياة حقيقية بل حياة جسد من غير روح، والقلب مشبع بالعذاب، مما يجعل الحياة غائبة عن معناها الحقيقي، فالحضور يتمثل بالجسد والقلب والوجود الحضوري، والغياب يتمثل بالروح والطمأنينة والحياة الداخلية، ويؤكد الشاعر في البيت الثاني حضور الموت الحقيقي الذي يم يعرفه الا من خلال الحب والأسى، فالحب عنده هي الأداة التي استخدمته الحبيبة(الضباء الغيداء) لقتله العاطفي ليتحول كل شيء حوله إلى ألم وفقدان، ويصبح(كأس الأسى) وهو الموت بديلاً عن لذات الحياة، وهو انقلاب وجودي لمعالم الحياة، فالحب بدلاً من أن يكون باعثاً للحياة أصبح طريقاً إلى الفناء، والحب بدلاً أن يكون باعثاً للحياة، أصبح طريقاً الى الفناء، فيحول الشاعر التجربة العاطفية إلى ساحة من الصراع الوجودي، إذ يحضر الحب ليقتل، والموت يحل محل الحياة، ويصبح العاشق نموذجاً لإنسان يعيش بجسده، ويغيب بروحه، لتتجلى لنا المفارقة الأندلسية بين الرفاهية الظاهرة والانكسار الداخلي.

## الخاتمة

تتعدد أبعاد الحضور والغياب في شعر ابن عبد ربه، وتتراوح بين بعد وجداني ذاتي وبعد رمزي جمالي، فقد نسج الشاعر من ذكرياته عالم حول فيه الغياب إلى حضور شعري نابض، متخذا من حضور ذات الشاعر وغياب الآخر مادةً إبداعية غنية بالمشاعر والصور.

ومن جماليات شعر الشاعر هو تجسيده الحضور والغياب بمدلولات ذات أبعاد فنية جميلة ومن خلال خياله الواسع استطاع ان يجعل الحضور والغياب في شعره عالم يتبادل فيه المشاعر والاحاسيس المتناقضة بين غياب مأساوي وحضور أليم.

كما استحوذ غياب الشباب، وحضور المشيب مساحات واسعة من شعر الشاعر، تبين فيها كيف انه مر بتجربة في حياته جعلته يتحسر على ايام الشباب ويستحضرها في شعره ،ليستحضر بعدها الموت ويغيب الحياة التي اصبحت ثقيلة على نفسه، فتكون حياته متسلسلة متقنة تبدأ بحضور الذات وغياب الاخر ومن ثم حضور الشيب وغياب الشباب ،ليختمها بحضور الموت وغياب الحياة المتعبة .

## ثبت المصادر


العاني، محمد شـعاب العاني(2009م)، **تأملات فلسـفية في القيم الروحية للشـعر الاندلسـي (الحياة والموت أنموذجاً)**، ط3، مجلة جامعة الانبار للعلوم الإسلامية-العراق.

ابن عبدربه، أبو عُمَرَ أحمَدُ بنُ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ رَبِّه الأندَلُسِي (ت328هـ) (1979م)، **ديوان ابن عبدربه**، تحقيق محمد رضوان الداية،ط3، مؤسسة الرسالة-بيروت.

الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ) (١٩٨٥ م)، **سير أعلام النبلاء**، ،ط3، مؤسسة الرسالة – بيروت.

خمري، حسـين خمري (2001م)، **الظاهرة الشـعرية العربية -الحضـور والغياب**، د.ط، دار الكتب – دمشق.

فضل، صلاح فضل، **في نظرية البنائية في النقد الأدبي** (1998م)، ط1، دار الشروق-القاهرة.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي ابن منظور الأنصـاري (2007م) **لسـان العرب**، ط3، دار صـادر- بيروت.

الرازي، محمد بن ابي بكر الرازي (1985م) **مختار الصحاح**، ط1، مكتبة لبنان- بيروت.

عبد السلام، محمد عبد السلام (2017م)، **الموت في الشعر العربي**، ط1، لبنان-بيروت.


## References


Aleani, muhamad shieab aleani(2009mi), ta'amulat falsafiat fi alqiam alruwhiat lilshier alandilsii (alhayat walmawt anmwdhjaan), ta3 ,majalat jamieat alianbar lileulum al'iislamiati-aleiraqi.

Abin eabdarbahu, 'abu eumar ahmad bn muhamad bn eabd rabih alandalusi (t328hi) (1979ma), diwan abn eabdarbah, tahqiq muhamad ridwan aldaayatu,t3, muasasat alrisalati-birut.

Aldhahabi, shams aldiyn muhamad bn 'ahmad bn euthman aldhahabii (t748hi) (1985 ma), sayr 'aelam alnubala'i, ,ta3, muasasat alrisalat - bayrut.

Khamari, husayn khamri (2001mi), alzaahirat alshieriat alearabiat -alhudur walghiabi, du.ti, dar alkutub - dimashqa.

Fadal, salah fadl, fi nazariat albinayiyat fi alnaqd al'adabii (1998ma), ta1, dar alshuruq-alqahrati.

Abin manzuri, muhamad bin makram bin ealiin abn manzur al'ansariu (2007mi) lisan alearabi, ta3, dar sadr-birut.

Alraazi, muhamad bin abi bakr alraazi (1985m) mukhtar alsahahi, ta1, maktabat lubnan- bayrut.

Eabd alsalamu, muhamad eabd alsalam (2017mi), almawt fi alshier alearabii, ta1, lubnan-birut.